أنت ... وأنا *

تصوّري ... ما زلت أحياكِ
تسلمني اليك كل خطوة
ولا أراكِ
تستيقظين في اهابي .. في دمي .. ولا
ألقاك .. والحب الذي أرضعته كأنه
دم شهيد
مضى عليه الف عام .. لم يجفّ
يحلم بارتياد كوكب بعيد
ولم أكن من رائدي الفضاء
ولدتُ تحت عالم لم يكتشف
ولم يكن له سفين
فلم أجد طفولتي
وكانت اللعبة ان أصمت كي أسمع
ما لا يبصرون
فكان صمتي .. وانتظاري أفقا
يعيدني طفلين .. أنت وأنا
وطال صمتي .. ظلّ بيتنا بغير سقف
ومعطفي صدى رياح تختفي
في قاعها السحيق طلعة الشموع
طفل بغير معطف
ولا دموع

* * *

وما عرفتُ في شهور الصيف
كيف يصير الناس والامواج خلقا واحدا
بلا ألم
وربما زهدتُ أن أكون عاريا
خشيت أن أسير حافيَ القدم
فتوصد الابواب دوني ان رجعت
يغلق الكتاب
ولا أراك في غد تأتين لي على
أجنحة مزهوّة الحروف
ومعطف شفيف
لكنني احتفظت بالبحار
رسما يضيء دفتري الصغير
سمعت للملاّح والنورس صوتا واحدا
ينداح في غياهب الاثير

* * *

وصار صمتي لغة .. ولعنة للطين
وحين غنيتُ
أغنية الطير الذي حطّ على حديقة الفيوب *
وكيف أضحى الكون والانسان قلبا واحدا
لم يسمعوا شدوي
عرفت أن النفي مهنة المغني .. آخر التعذيب

* اشارة الى قصيدتي (اغنية الى جاجارين)

وأنه لولاك ما حييت كالغريب
وأن عالمي الذي يموت ..
بين يديك يعترف
حبيبتي
صديقنا الذي عرفت ما يزال
مقلّبا عينيه في حدائق الفيوم
يبحث عن بشاشتك
يبحث عن فيروزتين فوق شاطىء المحار
عن وردة تفتحت رغم الحصار
وموجتين في الاعالي .. نغمتين .. لا حدود لا قرار
وخطوتين في المطار
لطفلة لم تغدُ قطّ امرأة تحتضن الهموم
وعاشق لم يعرف الطفولة ...
كان الصغار يوأدون كل فجر
ويكبرون فجأة في الليل
وفجأة تدهمهم على رصيف الانتظار
حوافر المأساة والبطولة
ولم يزل يبحث في عينيك عن حرّيته
يبحث في صباك عن براءته
وكلما سكبت ومضة من ابتسامتك
دعا رفاق عمره .. خيّرهم
ان يأخذوا او يتركوا قلبه
يعمر صدر راحل لم تعرفي حبّه
كيف يحيل الارض والسماء منجما .. وملعبا
والشفق الدامي خميلة
ولم ترى كيف مضى
من بعد أن القى بزهرتين لك
ولم يعُد ــ يا طفلتي ــ منتظرا عودتك

* * *

ولم تعودي أنت بعدها
ضلّ بك السفين في فضائك الفريق
وكان ملاّحوه يصرخون : لا انتظار
يموت من يقف
أما أنا .. فقد عرفت ذات يوم مركبه
تقلّني الى التراب
يا وطني .. يا كوكبا لم يكتشف
لا تعترف
موطنها السحاب
وأنت سرّ الرعد والبروق
دم شهيد .. لا يجفّ
ينزف أمطارا .. ويلفظ الزّبد
منتظرا ضمّتها الى الابد
الى الابد

القاهرة

حسن فتح الباب